إضاءة

لذاكرة القارئ دورٌ في تحديد نوع ما يتمثّل في خياله أو وعيه، في ذاكرته الثقافية أو تجاربه الحسية. بل لا بد أن يكون لما نسمّيها أيا تا شعرية ملمسٌ وإريجٌ ولونٌ ونوافذ تطل على آفاق بالمعنى الحسّي... مكانُ ما يتطلّع منه القارئ إلى ما حوله

محمد الأسعد

النرجس، الليل، الطرقات الموحلة، الشتاء البعيد

أليست هذه فلسطين؟

Everland ـ سليف سابيلا، كولاج فوتوغرافي من التطريز الفلسطيني (جزء من عمل)

للشاعر الجزائري مالك حداد عدّة روايات ومجموعتان شعريتان، ولكن سطراً واحداً في روايته «سأهبك غزالة» أبقظ في نفسي موضوعاً فكّرتُ فيه زمناً وتلاشى. في هذا السطر يصف الشاعرُ أبياتاً شعرية لفرنسي بهذه الكلمات: «وكانت أبياته تعبق باريج حبق الفتى». لا أعرف حبقاً بهذا الاسم، ولكن ما لفت انتباهي وأعادني إلى موضوعي المنسي قوله أن أبياتاً شعرية تعبق بالأريج، وأريج الحبق بالذات الذي يكثر في أغاني بلادنا. وتذكّرتُ فوراً ما نسيتُ؛ فاجأتني قارئة ذات يوم حين أدركتُ من قراءة ثلاثة أسطر شعرية مرّت بها على صفحة أحد المواقع الإلكترونية أنها لفلسطيني. كانت الأسطر الثلاثة تجري هكذا:

«رائحة النرجس!
لا بُد أنه الليل والطرقات الموحلة
في شتاء بعيد».

لم يكن في أي سطر من هذه الأسطر ما يدل مباشرة على أنّ القائل من فلسطين، ومع ذلك أكّدت القارئة، بعد أن سألتُها عن أدلّتها، أنها أدركت جنسية القائل من هذه الكلمات، النرجس، الليل، الطرقات الموحلة، الشتاء البعيد، من كلمات تنشر عبقاً وتقود إلى مكان. وأضافت: «أليست هذه هي فلسطين؟». بدا لي التفسير مدهشاً. وفكّرت: «إذاً، هذا هو ما يُسمّى في النقد التعبير غير المباشر (التعبير الشعري أو البلاغي... أو ما شئتَ من أوصاف)، هذا ما هو ضدّ المباشرة التي نعتقد أنها عدوّ الإحساس الشعري».

أن تعبق الأبيات بمشهد ما، بإحساس ما، أي أن تقول كل شيء ولا تقول في الوقت نفسه، أن توحي ببضعة ألفاظ بلدٍ أو مشهدٍ ما من دون الحاجة إلى التسمية الصريحة التي هي من وظائف رسّامي الخرائط لا الشعراء، أن توحي بعاطفةٍ ما من دون الحاجة إلى الاتكاء على الكلمات المكرورة، مثل القلب والكبد والرئتين، أو «الفشافيش» التي يشويها باعة الكباب، حسب تعبير ساخر سمعته من الشاعر الراحل محمود البريكان. ولكن ما شأن «الأريج» و«النرجس» و«الليل» والشتاء البعيد» بكل هذا؟

حين تعبق الأبياتُ الشعرية، يتولّد إحساس غير مُسمّى، وغير محدّد، ولكنه مع ذلك مؤثّرٌ مثلما تؤثّر فيك عينان/ نافذتان لا أحد فيهما، ومثلما يؤثّر فيك مساء ممطر لا تجد له تفسيراً من عشرات الألفاظ التي تستدعيها ولكنها لا تسعفك. الملاتحدّد، ربما هو هذا الشعور الغامر الذين تحمله الطبيعة وظواهرها، بحمله الليلُ والنرجسُ والطريقُ الموحلُ والشتاء البعيد والحبقُ العابقُ... والإنسانُ العابر أيضاً، من دون أن نستطيع تسميته وتحديده.

ولكن هذه ليست سوى عتبة، والقارئ لا يظلّ عند عتبة «اللاتحدّد»، بل ينزلق إلى المشهد. يفكّر ويتأمّل، أو قد يُؤخَذ، ولا يظلّ محايداً. تنجح الشاعر في استدراجه للخروج من وقفة «المحايد»، أي من الزاوية المعتادة التي يلتقط فيها ما يعنيه وما لا يعنيه بالدرجة نفسها من اللامبالاة. إنه يدخل الآن، ويسعى إلى تحديد ما أثارته فيه هذه السطور. هو من يحدّد الآن الكيفية التي «يتمثّل» له فيها هذا الدفق من المشاهد والصور، هذا الأريج الذي تعبق به الأبيات الشعرية.

إذاً، أعود هنا إلى اللامباشرة مرّةً أخرى وقد أصبحت تعني شيئاً واحداً في اتجاهين: الحرية في جانب الصور الشعرية، وقد تحقّقت في هذا اللاتحدّد العاطفي، والحرية في جانب القارئ الذي يقف أمام عشرات بل ومئات الممكنات، ويكون عليه أن يجعل واحداً أو أكثر منها «يتمثّل» في عاطفة محدّدة، تجاه بلد أو أرض أو شخص أو ذكرى.

من المؤكّد أن لذاكرة القارئ دوراً في تحديد نوع ما «يتمثّل» في خياله أو وعيه، في ذاكرته الثقافية أو تجاربه الحسية، لا يتوقّف الأمرُ على عتبة أبيات الشاعر وحدها، وإن يكن لهذه العتبة أهمية كبرى في تحديد مسار ونوعية التمثّلات، بل لا بد أن يكون لما نسمّيها أبياتاً شعرية ملمسٌ وإريجٌ ولونٌ ونوافذ تطلّ على حقول وسماوات، أو آفاق بالمعنى الحسّي وليس التجريدي. مكان ما يتطلّع منه القارئ إلى ما حوله.

■■■

> أن تعبق الأبيات بمشهد ما، بإحساس ما، أي أن تقول كل شيء
>
> الأشياءُ والكائناتُ ليست محايدة ولا أسماؤها أيضاً

بعض الشعر لا يُشعرك أنك تقف أمام عتبة عليك اجتيازها، أو ظلال تسعى إلى أن تكون شيئاً ملموساً، أي أن «تتمثّل» في شيء محدّد. مثل هذا الشعر قد ترى نفسكَ معه في زنزانة إسمنتية رطبة بلا نوافذ، ثقيلاً كلّ ما تراه وتحاول لمسه. لا ممكن خلف العتمة والرطوبة والجدران، سوى العتمة والرطوبة والجدران. وبعض الشعر يحيطك برفيف كلمات على الورق، ولا شيء غير الورق وصوته. إنه كلمات ثقال وتتطاير في كل اتجاه، تفتقر إلى العبق الذي يصفه مالك حداد، واتساع الليل ووحول الطرقات ورائحة النرجس والشتاء البعيد الموصوف في الأبيات الثلاثة، وتفتقر إلى كوامن يمكن أن تكون شيئاً ملموساً. هذه مسألة تبدو مسألة تقانة فنية. نعم هي مسألة تقانة فنية، من دونها يتساقط الكلام ورقاً لا فراشات حقل، ويغدو مثلاً أو حكمة، أو حبّاً لفظية تشبه قفّازات بهلوان مثيرة لا إحساس شاعر.

ولكن لئن كانت خيارات مالك حداد أو تلك القصائد تنقلك إلى مشهد جمالي يعبق بقوّة الحياة، ويبثّ فيك وفي ما حولك ذكرى حياة منسية، أو حياة مقبلة، فإن هناك خيارات أخرى تنقلك إلى مشهد له «جمالياته» الخاصة، إلى مشهد غبار يثور وصوت صليل سيوف أو تكسّر رماح، مثل ذلك المشهد الذي لا تخلو منه أبيات المتنبّي مثلاً أو أبيات المعرّي الذي يحاكيه في «سقط الزند». في هذه المشهد إحساسٌ قويّ بالحياة أيضاً، ولكنها الحياة المكرّسة للعنف والقتل. إنها أغنية من نوع مختلف يحذّر منها شاعر ناسك مثل الياباني ماتسو باشو تلميذه، فيشدّد على أنّ قتل اليعسوب في قصيدة ليس شعراً، الشعر بتعبيره، هو أن تمنح اليعسوب نسمة الحياة. فما بالك بالشعر الذي يحتفي بقتل الإنسان؟

هنا ننتقل إلى الموقف. فبعد أن يتخطّى القارئُ العتبة، وتتوارد على ذهنه مئات بل آلاف الاحتمالات، ويمثّل أمام ذهنه الممكن الذي لا بدّ أن يتمثّل في نهاية المطاف، سيجد نفسه بين خيارين: فإمّا أن يكون إلى جانب جماليات تجعل الأبيات تخضرّ برائحة الدماء وأنين القتلى والرؤوس المقطوعة، أو أن يكون إلى جانب جماليات تعبق أبياتها بالحياة النقية نقاء حديقة غسل أشجارها المطرُ تحت ضوء بيزغ رقيقاً من وراء السحب.

(شاعر وروائي وناقد من فلسطين)

من سابيلا إلى كمال

في عمله الجديد Everland المقتنى حديثاً لمجموعة متحف «معهد العالم العربي» في باريس، يستلهم الفنان ستيف سابيلا التطريز الفلسطيني بكل رمزياته وإبعاده، ويبدو عمله مثل برهان بصري على ان تاريخ الصياغة الانسانية للخيط والتصرف الإبداعي باصغر المكونات المادية هو تاريخ واحد، فلا خيط في النسيج حضور الحرف في اللغة. يُهدي سابيلا عمله إلى الفنان الفلسطيني الراحل كمال بُلاطه (1942 - 2019) في ذكرى رحيله الاولى.

أصدقاء لغتنا

نظرة القارئ الإيراني للعربية تشهد تغييراً

أمل نبهاني

تقف هذه الزاوية عند مترجمي الأدب العربي إلى اللغات العالمية المختلفة، ما هي مشاغلهم وأسئلتهم وحكاية صداقتهم مع اللغة العربية

الأهواز ـ العربي الجديد

■ متى وكيف بدأت علاقتك باللغة العربية؟ بما أنّ اللغة العربية هي لغتي الأم، فقد أحببتُها دائمًا، لكنّ اهتمامي بالأدب العربي بدأ في سنّ المراهقة، خاصة بعد مشاهدة فيلم «دعاء الكروان»، المقتبس من الرواية الفريدة من نوعها لطه حسين. وعندما قرأتُ الرواية، أدركتُ المزيد عن جمال لغتي الأمّ وعظمتها. منذ تلك السنوات تطوّر اهتمامي الشديد بالأدب العربي. حالما تمكّنتُ، بدأت بقراءة الروايات العربية، لنجيب محفوظ وطه حسين، وقصائد فدوى طوقان ونازك الملائكة ومحمود درويش وغيرهم.

■ ما أوّل كتاب ترجمته وكيف جرى تلقّيه؟

رواية «فرانكشتاين في بغداد» للكاتب العراقي أحمد السعداوي. تمّ تقديم هذا الكتاب إليّ من خلال صديق. قدّمني هذا الصديق إلى دار نشر «نيماز» التي كانت تبحث عن مترجم عربي في ذلك الوقت، وقمتُ بترجمة الكتاب.

■ ما آخر إصداراتك المترجمة من العربية وما هو إصدارك المقبل؟

رواية «خان الخليلي» لنجيب محفوظ، والمجموعة القصصية «نيران صديقة» لعلاء الأسواني. بالإضافة إلى ترجمة رواية من الفارسية إلى العربية، وأيضًا مختارات شعرية لعدد من الشعراء الإيرانيين كـ بيجن إلهي، ومحمود شجاعي، وبهران أردبيلي، وغيرهم إلى اللغة العربية التي تم الاتفاق بشأنها مع الناشر.

■ ما العقبات التي تواجهك كمترجمة من اللغة العربية؟

بما أنّ اللغة العربية هي اللغة الحية الأكثر اكتمالًا في العالم، والكلماتُ والأفعال والمعاني والمفردات في هذه اللغة هي أكثر تنوعًا وتجذّرًا من اللغة الفارسية، أواجه دائمًا مشكلة نقص الأفعال والكلمات في الترجمة من العربية إلى الفارسية. لكنّ اللغة الفارسية لها جمالها وتاريخها وقدراتها، وبما أنّ جزءًا كبيرًا من اللغة الفارسية يتكوّن من اللغة العربية، مع القليل من العناية والصعوبة، يمكن إنجاز ترجمة جيّدة ومقبولة ومفهومة للجمهور الناطق بالفارسية؛ لكن المشكلة الكبرى في ترجمة العربية إلى الفارسية هي سوء فهم الجمهور الناطق بالفارسية للأدب العربي. يعتقد الجمهور الفارسي أنّ اللغة العربية تقتصر على القضايا الإسلامية والدينية، ولديه القليل من المعرفة بالأدب العربي الغني والعظيم. بالطبع، من واجبنا نحن المترجمين إزالة هذا المفهوم الخاطئ لدى الجمهور الإيراني.

■ نلاحظ أن الاهتمام يقتصر على ترجمة الأدب العربي وفق نظرة واهتمام معينين، ولا يشمل الفكر وبقية الإنتاج المعرفي العربي، كيف تنظرين إلى هذا الأمر وما هو السبيل لتجاوز هذه الحالة؟

كما ذكرت، أكبر مشكلة يواجهها المترجم من العربية إلى الفارسية هي تقديم هذه اللغة وأدبها الغني إلى الجمهور الناطق بالفارسية. لا يعتقد الكثير من القرّاء الناطقين بالفارسية حتى بأنّ هناك أسماء رائعة في مجال الأدب والفكر والرؤية العالمية والحكمة والفلسفة في العالم العربي. لحسن الحظ، قام المترجمون مؤخّرًا بترجمة أعمال الفلسفة والحكمة والفكر التي كُتبت من قبل المفكّرين العرب إلى اللغة الفارسية، وقد تغيّرت نظرة الجمهور الإيراني للغة العربية تدريجيًا، سواء في مجال الأدب أو الفكر أو الفلسفة أو مجالات أخرى.

■ هل هناك تعاون بينك وبين مؤسسات في العالم العربي أو بين أفراد وما شكل التعاون الذي تتطلعين إليه؟

لا أتعاون في الوقت الحاضر مع أيّ مؤسسة أو فرد في الوطن العربي في مجال الأدب. ولكني أعمل مترجمة في المجال التجاري بين إيران وبعض البلدان العربية.

■ ما هي المزايا الأساسية للأدب العربي ولماذا من المهم أن يصل إلى العالم؟

اللغة العربية فيها أكثر من 12 مليون كلمة، باسماء تلمع في مجال الأدب والفلسفة والحكمة والفكر. عندما يمكن التعبير عن كلمة الحب فقط في أربعين

> اللغة العربية هي اللغة الحية الأكثر اكتمالاً في العالم

شكلًا مختلفًا في هذه اللغة، عندما نرى تأثير اللغة العربية في أدب دول مثل إيران وتركيا وأذربيجان وحتى فرنسا، فمن الضروري بالتأكيد محاولة تقديمها إلى العالم بشكل أفضل وأكثر اكتمالًا.

بمقارنة اللغة العربية باللغات الأخرى، خاصة في مجال اللغويات، ندرك القدرات الفريدة لهذه اللغة ونظامها اللغوي القوي. ومن المؤكّد أنّ تقديم هذه اللغة وقدراتها واتساعها إلى العالم، وخاصة من خلال ترجمة الأعمال العربية في مختلف المجالات، أمر مهم وضروري للغاية.

امل نبهاني

بطاقة

مترجمة من مواليد مدينة الأهواز عام 1974. درست اللغة الفرنسية في جامعه شهيد چمران في الأهواز. تُرجمت إلى الفارسية روايتي «فرانكشتاين» في بغداد (2014)، و«باب الطباشير» (2016) لـ «أحمد سعداوي». وتصدر لها قريبًا ترجمة رواية «خان الخليلي» لنجيب محفوظ، والمجموعة القصصية «نيران صديقة» لعلاء الأسواني. كما نقلت إلى العربية مختارات لعددٍ من الشعراء الإيرانيين المعاصرين.

قصيدة

أنتظرُ عُبورَكِ مَرةً ثانية في حياتي ولو خارجةً منها

أستخدم حنجرتكَ للغناء

تفصيل آخر من سلسلة Everland ـ سليف سابيلا

سومر شحادة

عَرَفتُ فِيمَا أَسيرُ
بَينَ جُموعٍ تائِهَة
أَنَّكِ لِلنَّوْءِ،
عَبَرتِ صَوبَ الحَرائِقِ
وفي طَريقِكِ
مَسَحتِ عَلَى الدَّوائِرِ
كَيْمَا تُعْقِدينَ بالنَّار
أُولَئِكَ الذينَ انْحَدَروا
مِنْ سُلالاتِ الوحْدَة
ومِنْ سُلالاتِ اليَقِين
■■■

مَضَى عَهدٌ وحدَتِكِ
رَأيتُ في الغَابَةِ التي اجترَتْهَا
رفاقِي العُشَّاق
ولأَنَّكِ مَسَسْتِنِي مَرَّةً
نَطَقْتُ شِفاهِي كَلاماً عَجِيباً
جَمَعَ إليَّ الأَغْصانَ ومَدَّ بَيْنَ جَنَباتِي الطُّيُور
قِيْلَ إِنَّنِي أَستَخدِمُ حُنجُرَتَكِ لِلغِناء
وجيُوبَكِ لِلدِفء
أَصابِعُكِ وشَفَتَيكِ لِلصَفِير
وعَينَيكِ لِلقُبَل،
قِيْلَ إِنَّنِي أَستَعير الطَريقَ الذي تَسلُكِينَهُ
وأَمشِي بِقَدَمَيكِ عَلَى الماء
■■■

مَا كَانَ لي أنْ أَستاءَ
مِنْ أَنَّكِ لَمْ تَدعِنِي إلى سَفِينَةِ غَدِكِ
فأنا مُقيمٌ حَيْثُ تركتِ بذارَكِ
أَهشُّ الغِربَانَ وأَرقُبُ عَودَةَ الطُوفانْ
تَجِيءُ حَمائِم وتَاخُذُ مِنْ أَعضائِي
ورِجالٌ لا يَنتَمونَ إلى زَمانٍ واحِدٍ
يَجْلِسُونَ في ظِلالِي
في طَريقِهِم إلى حَرْبٍ واحِدَة
■■■

تَحَدَّثتُ مَع الوَردَةِ عَنْكِ
وأَخبَرتِنِي عَن افتِقَادِها لِلأَصَابِعِ
التي أَخَذتِها مِنْ أُمِّها النَبْتَة
ووَضَعتِها في الآنِيَة
حَيْثُ وَقَفتُ في ساعاتِ النَهار
وعَبَرَ الليلُ أَشفَقتُ على العاشِقِ
الذي يتَفَقَّدُ في مَكانٍ ما مِنَ العالَم،
أَصابِعَهُ الخالِية، لا مِنَ الأَزهار
وإنَما مِنَ العِناق
وَالوَردةُ تَذبُلُ
يَوماً بَعدَ آخَر
العاشِقُ يَستَاء، لا مِنْ ذُبولِها
وإنَما لأَنَّ جَمَالكِ يَزدادُ وحدَةً
يَزدَاد إشراقاً
حَتَّى يُخَالُ أَنَّكِ عاشِقَة
تَنتَظِرينَ قُعُودَ الرِجالِ عَنِ الحَرب
التي جَلَستُ عَنها
أَنْتَظِرُ
عُبورَكِ
مَرةً ثانية
فِي حَياتِي،
وَلَوْ خَارِجَةً مِنْها.

بطاقة

كاتب وشاعر سوري من مواليد اللاذقية عام 1989. صدرت له روايتان: «حقول الذرة» التي نالت «جائزة الطيب صالح» عام 2016، وصدرت طبعتها الثانية عن «دار ممدوح عدوان» عام 2017، و«الهجران» عن «دار التنوير» عام 2019.

شذرات

يا خادمَ الوطَن ماذا أعددتَ للبناء من حَجَر، أو زِدْتَ في الغَثَاء من شَجَر؟ عليكَ ان تبلُغَ الجُهد، وليس عليكَ ان تَبْنِي السدّ؛ فإنما الوطن كالبُنيانِ فقيرٌ إلى الراسِ العاقِلِ، والساعدِ العامل.

احمد شوقي ـ «اسواق الذهب»

ليس النصّ نصاً إلا بما يخفيه عن النظرة الاولى، بما يحجبه عن اوّل من يأتيه. في القراءة الاولى يُخفي النص منطق تركيبه وقانون لعبته، بل انه يقاوم القراءات الاولى جميعها وقد يظلّ مقروءاً وغير قابل للادراك في آن. وفي الحقيقة، فان ما نسمّيه ادراكاً لما في النص لا يمكن ان يتحقّق اثناء فعل القراءة.

جاك دريدا ـ «النثر»

الفلسفة كامنةٌ في جميع العقول كمون النار في الهشيم، ومستعدّة لان تقود العاملين في تعاليمها الى حظيرتها الآمنة، ولكنها اذا وجدت مقاومة في شعب من الشعوب، او أمّة من الامم تنتقم لنفسها انتقامًا مريعًا.

بولس مسعد ـ «ابن سينا الفيلسوف: بعد تسعمئة سنة على وفاته»

لا يمكن للمنطق ان يحتوي على جزء تجريبي؛ اعني انه لا يمكن ان يحتوي على جزء تقوم فيه القوانين العامة والضرورية للفكر على اسس هي نفسها مستمدة من التجربة، والّا لما كان منطقًا؛ اي معيارًا للفهم.

إيمانويل كانط ـ «تاسيس ميتافيزيقا الاخلاق»، ترجمة: عبد الغفار مكاوي